ابراهام حرصه على حمايتهن من العرب . وعندي ان أفضل سبيل للكشف تماما عن هوية هذا الفنان المزيف ، هو عدم مقاطعة اغنيته . فتكرار الاستماع الى هذه الاغنية هو السبيل الوحيد لمعرفة اي « فضيحة انسانية » هو هذا الانسان .

وقالت صحيفة تراو البروتستانتية الصادرة في امستردام ، يوم ٢٣ كانون الثاني في افتتاحيتها : أفضل لنا الا نتحدث عن الاب ابراهام ، لانه لا يستحق هذا الشرف . ان السيد رباني ولجنة فلسطين الهولندية على حق كامل في ادانة هذه الاغنية ، ولكن .. يخشى ان تزيد مبيعاتها اذا ما استمر الحديث عنها . ولقد كان النائبان البرلمانيان على حق عندما أثارا الموضوع في البرلمان . الا ان اضفاء صفة « شهيد » على هذه الاغنية قد يؤدي نتائج عكسية . الافضل اذن ، ان نغفل امرها تماما وان نكتفي بالاحساس قليلا بالخجل . ونشرت صحيفة الخميس داخ بلاد اليسارية المستقلة الصادرة في روتردام ، يوم ٢٣ كانون الثاني خبرا مفاده ان مجلس ادارة المخازن الجماعية الكبيرة المعروفة بأسم فراو ان دريسمان ، قرر الامتناع عن بيع هذه الاسطوانة . ومعروف عن هذه المخازن انها تصرف ١٥ بالمئة من مجموع الاسطوانات التي تنزل الى السوق . وجاء في الخبر أيضا ان السيد رباني تسلم رسائل شخصية باعداد ضخمة أعرب اصحابها فيها عن احساسهم بالخجل الشديد ، ووصفوا الاغنية بالفضيحة كما وصفوا صاحبها بأنه لا يمت للفن بأية صلة . ونشرت صحيفة ن ر س هاندلسبلاد الصادرة في روتردام ، يوم ٢١ كانون الثاني خبرا مفاده ان الناطق بلسان وزارة الخارجية الهولندية وصف الاغنية بأنها اغنية سخيفة لا تستحق التسجيل على اسطوانات .

الملفت للنظر فعلا بصدد ما أثارته هذه الاغنية من ردود فعل وبصدد ما دار حولها من نقاش واسع اتصف بالحدة في أغلب الاحيان وباثارة الضمائر في أحيان اخرى ، هو هذا الجنوح الى تحكيم العقل في سلوك الغربيين ، صحافة وبرلمانا وساسة وجماهير ، في تقييم علاقاتهم مع العرب . واعتقد حاليا ان صدور اي اغنية مشابهة في أي قطر في غرب اوروبا ، لا بد ان يثير ردود الفعل نفسها . وكما نعرف فان الشعب الهولندي الذي يتعاطف حاليا والى حد بعيد مع قضايا تحرر الشعوب في افريقيا واسيا واميركا اللاتينية ، كان حتى حرب تشرين من أشد شعوب الغرب التفافا الى اسرائيل والتفافا حولها لحمايتها وصد العاديات عنها . وفي هذا كله ، لعبت الصهيونية القوية النفوذ في هولندا ادوارها المعروفة لالهاء الشعب ،الهولندي عن حقائق قضية الشرق الاوسط . لكن هذا الالهاء كتب له في هولندا وفي كل مكان في غرب اوروبا ان ينتهي بضربة واحدة ، هي الضربة التي نزلت على رؤوس الاسرائيليين في حرب تشرين . هنا افاق الناس من سباتهم العميق ، واخذوا يعيدون تقييم الوضع في الشرق الاوسط ، على اسس جديدة اقل ما يقال فيها أنها تصحيح لخطأ ارتكبوه طويلا بأن سمحوا لانفسهم بالتغاضي عما الحقه الاسرائيليون بالفلسطينيين من مظالم ومآسي .

ان من الغريب فعلا ، ان تحدث اغنية كل هذا الضجيج في بلد كان مندفعا بعاطفية مذهلة نحو اسرائيل ، وان يتعرض أصدقاء اسرائيل بسببها الى تقريع لاذع ونقد مرير . لكن فهم هذا التحول على ضوء انتصارات تشرين ليس بالامر العسير . فالانتصارات العربية العسكرية جلبت معها وحدة في الكلمة وتضامنا ، كما كشفت عن فضائل العرب ونضالاتهم العادلة التي كانت الامبريالية العالمية تفعل الكثير لاخفائها عن الاعين . ثم أنها ابرزت على سطح الاحداث العالمية شعبا صغيرا مؤمنا بقضيته ، قاسى الامرين من محاولات الامبريالية التي استهدفت سحقه تماما، فتصدى لها ببطولة .

ولعلنا ان ندرك بعد اليوم ، ان اصدقاء العرب في الغرب أصبحوا كثيرين . وبواسطة هؤلاء الاصدقاء الموجودين في كل مكان يضلع لخدمة الاعلام العربي ، يمكن توسيع رقعة هذا الاعلام وتعريض مداه . هذا التحول يستطيع اي دبلوماسي عربي او اعلامي عربي نشيط ان يبادر الى الاستفادة منه في توسيع دائرة نشاطه الاعلامي في مكان اقامته او عمله.وفي مجال القضية الفلسطينية والاعلام العربي في العالم انتلقت المبادرة نهائيا من يد اسرائيل الى أيدي العرب . اذن .. فليبادر المسؤولون في كل مكان الى العمل دون خجل كثير او تحسب كبير او تردد لا لزوم له .

عقيل هاشم